والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض





الشيخ صالح بن عبدالرحمن الأطرم

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 29/8/2013 ميلادي - 21/10/1434 هجري

الزيارات: 38851

والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض

الحمد لله الذي أعد للمؤمنين دار كرامته، وللمنافقين والكافرين أليم عقابه؛ جزاء وفاقا، أحمده سبحانه وأشكره، على عموم فضله ونعمه التي من أجلِّها بيانُ صفات الخير لمبتغيها وسالكيها، وتبيين طرق الشر لمريد اجتنابها والهرب عنها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له معز من أطاعه ومذل من خالف أمره وعصاه، في دنياه وأخراه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكمل المؤمنين إيمانا وأحسنهم خلقا وأعرفهم بالله صدقا ويقينا، اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه المتآزرين على ما يقتضيه الإيمان برب العالمين وعلى ما يتحصنون به من شر الشياطين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنه ما من إنسان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا ويرجو رحمة الله ومرضاته ومغفرته وجنته وسعادته في دنياه وآخرته، وأن من يرجو هذه الأمور فلا بد أن يخاف من أضدادها، فيخاف من غضب الرب وسخطه، ومن الجبار وسطوته، ومن التعاسة والشقاوة وانعكاس أمره عليه في دنياه وآخرته وهذه صفات المؤمنين المتقين كما بينها تعالى بقوله: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] فهذه الصفات هي أسباب النصرة والرحمة، والعزة والكرامة، والمغفرة ودخول الجنة، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: أي: يتناصرون ويتعاضدون كما جاء في الصحيح: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)، وشبك بين أصابعه. وفي الصحيح أيضا: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر).

فمقتضى هذا: أن المؤمن يحب لأخيه كل خير، ويود أن يبعد عنه كل شر، كما يرغب ذلك لنفسه، وهذا من أكمل الإيمان وأتمه؛ قال - صلى الله عليه وسلم - : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه). وهذا ما تعنيه الولاية في قوله سبحانه: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ فالولي لا يغش من تولاه ولا يخونه، وأيضا هو معنى الدعوة إلى الخير وإلى المعروف، كما تقتضي الولاية بين المتوالين والمتآخين أن يزيحوا المنكر عن مجتمعاتهم وينزهوا أنفسهم عن أدرانه وآثامه، وأن يتوجهوا إلى ما يصلهم بربهم وخالقهم، ويداوموا عليه وهي الصلاة، وأن يصلوا ما أمر الله تعالى بصلته من خلقه بسلام أو مال، وهذا ما تفرضه طاعة الله تعالى وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فمتى وجدت هذه الأسباب وجد الفرد الصالح ووجدت الأمة المتحدة بالإيمان.

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض.

﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ وهي: الصلة التي تربطهم بالله تعالى ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ وهي: الفريضة التي تربط بين الجماعة المسلمة، وتحقق الصورة المادية والروحية للولاية والتضامن.

﴿ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فلا يكون لهم هوى غير أمر الله تعالى، وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يكون لهم دستور إلا شريعة الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يكون لهم منهج إلا دين الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يكون لهم الخيرة إذا قضى الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وبذلك يوحدون نهجهم وهدفهم وطريقتهم، فلا تتفرق بهم السبل عن الطريق الواحد الواصل المستقيم.

﴿ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، والرحمة لا تكون في الآخرة وحدها، إنما تكون في هذه الأرض أولاً، ورحمة الله تشمل الفرد الذي ينهض بتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وتشمل الجماعة المكونة من أمثال هذا الفرد الصالح برحمة الله في اطمئنان القلب والاتصال به، والرعاية والحماية من الفتن والأحداث، ورحمة الله في صلاح الجماعة وتعاونها وتضامنها واطمئنان كل فرد للحياة واطمئنانه لرضا الله تعالى.

إن هذه الصفات الأربع في المؤمن وهي: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ لتقابل صفات المنافقين وهي: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ونسيان الله.. وإن رحمة الله للمؤمنين لتقابل لعنته للمنافقين والكفار، إن تلك الصفات التي وعد الله تعالى المؤمنين عليها بالنصر والتمكين في الأرض ليحققوها في وصايتهم الرشيدة على البشرية.

﴿ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ قادر على إعزاز الفئة المؤمنة، ليكون بعضها أولياء بعض في النهوض بهذه التكاليف، حكيم في تقدير النصر والعزة لها؛ لتصلح في الأرض وتحرس كلمة الله بين العباد، وإذا كان عذاب جهنم ينتظر المنافقين والكافرين، وكانت لعنته لهم بالمرصاد، وكان نسيانه لهم يدفعهم بالضآلة والحرمان، فإن نعيم الجنة ينتظر المؤمنين.

﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[2].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ﴾[3].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين والمسلمات من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

[1] سورة التوبة، الآية [71].

[2] سورة الصف، الآية [12].

[3] سورة الصف، الآية [4].

[4] سور التوبة، الآية [71-72].
